المقدمـــة

الحمدُلله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فاللُّغةُ هي مرآةُ الشعوب، ودليلُ رقيِّهم وحضارتِهم، فإنْ هُمْ أهملوها واستغنوا عن كنوزِها زلَّتْ أقدامُهُم وتزَلْزَلَتْ بِهِمُ الأرضُ، ولم يكن لهم في العالم قيمةٌ حضاريةٌ، ولا مهابةٌ سياسيَّةٌ، ولا حظوةٌ اقتصاديةٌ، ولهذا تهتمُّ الشُّعوبُ بتجديد المنهج البحثيِّ وطُرُقِ الكشفِ عن القضايا التي تسبِّبُ إشكالاً في الفهم، أو تزيد من مستوى الإدراك والوعي، لهذا يمكنُ القولُ إنَّ لغتَنَا العربيَّةَ لغةُ علمٍ وآدابٍ وحضارةٍ، فقد بحثَ فيها العربُ منذ القرونِ الأُوَلُ للهجرة، وما زالوا إلى اليومِ يبحثون فيها، بل وحتَّى المستشرقون فإنَّ بعضُهم أفنى عُمُراً في بحثِهِ في هذه اللُّغَةِ.

وتتميز هذه اللغة بعدة ظواهر تشد أركانها ليستقيم بناؤها، ومن هذه الظواهر ظاهرة الاختلاف الدلالي.

إنَّ لظاهرة الاختلاف الدلالي في اللغة العربية وغيرها من اللغات أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية، الأمر الذي يستدعي الباحثين إلى استجلاء صور هذا الاختلاف وأسبابه وأشكاله.

وهذه الدراسةُ تستقري بعضَ الآراء اللغوية حول المعنى وما يترتب عليها من قوانين للوصول إلى أبرز الأسباب المؤدية لهذا الاختلاف، إذ إنَّه من المعلوم أنَّ لكل لفظة دلالة معينة، وصور استعمال تختلف حسب سياقاتها وعلاقاتها بغيرها من الألفاظ في الجمل أو التراكيب، فيصبح من الممكن أن تؤدي اللفظة دلالة أو معنى

مختلفاً، بل ربما يكون نقيضاً لدلالتها الأصلية لها باعتبار الوضع، وهذا نتيجة للعوامل الاجتماعية والثقافية والعلمية التي تؤدي إلى التطور اللغوي.

فهذه الدراسة إذن تسعى للتَّعريف بظاهرة الاختلاف الدَّلاليِّ وأسبابه وأشكاله التي يمكن من خلالها إدراك معاني الكلمات من خلال علاقاتها بغيرها من الكلمات الأخرى.

ولما للمعلقات العشر من أهمية في رسم القواعد النحوية والصرفية واللغوية؛ اتخذتها ميداناً للدراسة، إذ هي أعلى وأفصحُ نَصٍّ أدبيٍّ ثابتٍ موجودٍ بين أيدينا بعد القرآن الكريم والحديث الشريف، ولتكون الدراسةُ أكثرَ دقةً وانضباطا حَصَرْتُ مادَّتها في الصِّيغِ المزيدة بحرف، ليكون العنوان " الاختلاف الدَّلاليُّ في الصِّيغِ الصَّرفيَّةِ (أَفْعَلَ – فَعَّلَ – فَاعَلَ) في المعلقات العشر".

ورغمَ أنَّ ظاهرةَ الاختلافِ الدَّلاليِّ في الصِّيَّغَ المزيدة ظاهرةٌ واضحةٌ في معلَّقَاتِ الشُّعراءِ العشر ، ويمكنُ تلمُّسُ صورٍ مختلفةٍ لهذِه الظَّاهرة ؛ فقد بحثتُ كثيرا في هذا العنوان – الاختلاف الدلالي في الصيغ الصرفية (أَفْعَلَ – فَعَّلَ – فَاعَلَ) في المعلقات العشر – خشيةَ أن يكونَ قد دُرِسَ فَظَهَرَ لي أَنَّهُ لم يُدْرَسْ ولم يتناولْهُ أحدٌ ، إلا أنَّني وجدت شيئًا قريبا منه يتعلَّقُ بالتَّناوب الدلالي في القرآن الكريم ، كما وجدتُ دراسةً واحدةً فقط محصورةً في دلالةِ (أَفْعَلَ) في شعر المعلقات دون النظر في الاختلاف الدَّلاليِّ لهذه الصِّيغَةِ ، وهي عبارةٌ عن بحثٍ في مجلَّةٍ كويتيَّة ، ومن ثَمَّ بحثتُ عن أيِّ دراسةٍ تحملُ عنوان الاختلافَ الدَّلاليَّ وحينما لم أجد؛ استقرَّ عندي الأمر على العمل في هذا الموضوع، راجياً أن تتحقق من خلاله الإضافةُ المنشودة.

فانطلقت مستعينا بالله نحو عنوان بحثي السابق ذكره مرجعا أهميته إلى المادةِ التي يُعنى بها حيثُ هي الشِّعرُ الجاهلي ؛ حيث هو أرقى مستوياتِ العربية الفصحى ،

والتي بها نزلَ القرآنُ الكريمُ متحدياً العربَ أن يرقَوا بهذا الشعرِ إلى مراتبِ القرآنِ عجِزُوا مع ما فيه- أي الشعرُ – من رصانةِ المبانِي وحسنِ المعاني.

لكنني وعندما شرعت في جمع المادة وتحليلها وتصنيفها ظهر لي أنَّ الدكتور زين كامل الخويسكي له مؤلف قريب من هذا الموضوع ، حيث صادفتُ أثناء بحثي كتابا له بعنوان (الزوائد في صيغ العربية) وهو عبارة عن دراسة مقارنة بين صيغ الزوائد في المعلقات العشر وفي سورة البقرة ، غير أنَّه لم يتطرق للاختلاف الدلالي ولم يصرِّح بوجوده ، ومع قلَّةِ النتائج التي ظهرت لي مسبقا اضطُررتُ إلى توسيع موضوع البحث ليشمل مشتقات الصيغ المزيدة بحرف في هذه المعلقات ، رغبةً في الخروج بنتائج أفضل وأدق، إضافة إلى إثراء البحث قدر الإمكان.

وإشارةً إلى أنّ الاختلافَ الدَّلاليُّ له أثرٌ واضحٌ في تغايُرِ المعاني وتوالدِها، وأنَّهُ ظاهرةٌ لغويةٌ رصينةٌ فإنَّ الباحثَ يهدفُ إلى جلائها في كلامِ العربِ من خلالِ دراسةِ آثارِها في شعر المعلقات العشر، والكشفِ الفنِّي العميقِ عنها من خلال دراستِهِ التطبيقية.

و تسعى هذه الدراسةُ للإجابة عن الأسئلة التالية :

- بِمَ تتأثرُ دلالة المزيد بحرف في شعر المعلقات؟

- هل اختلاف دلالات الصيغة يعد ضرباً من المجاز أو هو نوع من تطور الدلالة؟

- هل ثمَّت علاقة بين أكثر الصيغ التي تختلف الدلالة فيها، وهل توجد معانٍ مشتركة فيما بينها في أصل بناءاتها؟

- هل الاختلاف الدلالي لصيغةٍ ما يعد من أنظمة التوليد اللغوي؟

- هل يمكن ضبط دلالات صيغ المزيد بحرف في شعر المعلقات ومقابلتها بما جاء به علماء اللغة؟

ومثلما سبق أن أشرتُ فإنَّ هذه الدراسة تهدفُ إلى الوقوفِ على ظاهرةِ الاختلافِ الدَّلاليِّ في الصَّيَغِ المزيدةِ بحرفٍ وإبرازِها ، في محاولةٍ لمعرفةِ العلاقةِ بينَ أكثر الصِّيَغِ التي يحدثُ الاختلافُ الدَّلاليُّ فيما بينها ، ساعيا إلى تفسيرِ العلاقةِ بينَ البناءِ والدَّلالَةِ ومدى إمكانيَّةِ القولِ بأنَّ أحدَهُمَا أوجدَ الآخر ، كما أنَّ الدراسة تحاولُ فهمَ سببِ عدمِ مجيءِ الدَّلالةِ على أصلِ بنائها بشكلٍ منتظمٍ.

ولا شك أنَّ لكلِّ عملٍ ما يعتريهِ من الصُّعوبات والمثبِّطات ، وقد كان أبرزُها في هذه الدراسةِ يتعلَّقُ بعملية استكشاف المعنى الصَّرفيِّ للصِّيغَةِ ، وشدَّةِ الغموضِ في مرحلةِ فرزِ المعاني وتصنيفِ أفعالها ؛ إذ لا يوجد فرز محدد واضح دقيق للمعاني الفرعية للصيغ – موضوع الدراسة – حيث يختلف تصنيفها باختلاف معطيات المحللين لها من علماء اللُّغَةِ قديما وحديثا ، ويمكنني القولُ أَنَّ موضوعَ الدراسة يرتبط بثلاثة اتجاهات لغويَّةٍ هي: الصَّرْفُ، كونُ أنَّ العملَ متعلِّقٌ بالصِّيْغَةِ، والمعاجمُ لاستظهارِ المعاني الأصليَّةِ للمفردات ، وطريقةِ التَّصنيفِ المعتمدةِ في البحث، وأخيراً الدلالةُ لما يظهرُ من تأثير السياق عليها في المعنى، وهذه الاتجاهاتُ لكلِّ واحد منها قوانينه وأصوله العلمية التي يُفترضُ أن يلمَّ الباحثُ بقدرٍ جيدٍ منها ليتمكَّنَ من أداء مهمته في بحثه على الوجه المطلوب.

ولهذه الدراسة حدودٌ تلتزمها وتقفُ عندها في ظاهرة الاختلاف الدلالي، وهي : شعر المعلقات العشر، ويدرس فيه الباحثُ الصِّيَغَ المزيدَةَ بحرفٍ ومشتقاتِها، مُتَطَلِّبًا فيها دلالاتِ الصِّيَغِ ودلالاتِ أفعالِ الصِّيَغِ.

وتقوم الدراسة فيما يتعلَّقُ بالمنهجِ على جمع المادة العلمية من دواوين الشعراء العشرة وشروح دواوينهم، ودراسة أقوال العلماء القدماء من شراح الشعر الجاهلي وما أشاروا إليه من النكت حول هذه الظاهرة وتحليل ما في هذه المادة العلمية وإحصائها ووصف الأثر النَّاتج من خلالها. وقد اقتضى هذا المنهج أن تأتي هذه الدراسة مبدوءةً **بمقدِّمةٍ** تتحدَّثُ عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأسئلته وأهدافه ، وما عنَّ للباحث من مشكلات وصعوباتٍ أثناء بحثه ، ثم التمهيد ويقع في مبحثين أوَّلُهما عن المعلَّقات الجاهليَّة ؛ تعريفٍ موجزٍ بها وبشعرائها ، وثانيهما حول ظاهرة الاختلاف الدَّلالي وأثرها في اللغة، وينتهي **بخاتمة** عَرَضْتُ فيها أهمَّ ما توصَّلتُ إليه من نتائجَ .

وبين المقدمة والخاتمة يأتي **محتوى** الرسالة في ثلاثة فصولٍ، كلُّ فصلٍ منها يقع في مبحثين ، **فالفصل الأول** تناولت فيه بناءَ (أَفْعَلَ) ومشتقاته في شعر المعلقات العشر حيث كان **المبحث الأول** عن الدلالات الأصلية لبناء أَفعَلَ ومشتقاته على النحو الذي ورد عليه عند علماء الصرف ، **والمبحث الثاني** عن الاختلاف الدلالي للصيغة ومشتقاتها عمَّا وردت عليه في أصل بنائها عند علماء الصرف، وقد جاء في نهاية هذا المبحث قراءة إحصائية لبناء (أَفْعَلَ) ومشتقاته ودلالاتها مثلما وردت في المعلقات العشر.

وتناولتُ في **الفصل الثاني** بناء (فَعَّلّ) ومشتقَّاته في المعلَّقات العشر، فكان **المبحث الأول** عن الدلالات الأصلية لبناء فَعَّلَ ومشتقاته في النحو الذي ورد عليه عند علماء الصرف، و**المبحث الثاني عن** الاختلاف الدَّلاليِّ للصِّيغة ومشتقَّاتها عمَّا وردت عليه في أصل بنائها عند علماء الصَّرف، وقد جاء في نهاية هذا المبحث قراءة إحصائيَّة لبناء (فَعَّلَ) ومشتقَّاته ودلالاتها كما وردت في المعلَّقات العشر.

ثم تناولت في **الفصل الثالث** بناء (فَاعَلَ) ومشتقَّاتِهِ في المعلَّقات العشر ـ فكان **المبحث الأول** عن الدَّلالات الأصليَّة لبناء فَاعَلَ ومشتقَّاته على النَّحو الذي ورد عليه عند علماء الصَّرف، و**المبحث الثاني** عن الاختلاف الدَّلاليِّ للصِّيغة ومشتقاتها عمَّا وردت عليه في أصل بنائها عند علماء الصَّرف ، وقد جاء في نهاية هذا المبحث قراءة إحصائيَّة لبناء (فَاعَلَ) ومشتقاته ودلالاتها كما هي في المعلقات العشر.

وبعد الخاتمة تجيءُ الفهارس.

وأما طريقتي في العمل فهي أنني رتَّبْتُ الأفعال داخل كل حقل صرفيٍّ هجائيا، وَرَدَدْتُ المشتقَّاتِ إلى أصلِهَا الَّذي هو الفعلُ، ثمَّ أدخلتُهُ في هذا الترتيب، وأشرتُ في تحليل الكلمة إلى نوعها من المشتقَّات.

وأما طريقتي في توثيق الأبيات فهي(١/ ١٠) حيث الرقم واحد هو رقم البيت ، والرقم عشرة هو رقم الصفحة في ديوان الشاعر ، وحين يتكرر المصدر فإني أشير تحت الأول بقولي : المصدر نفسه ، وعندما يتكرر ذكر المصدر مرتين يَفصِلُ بينهما مصدرٌ مغايِرٌ فإني أعيد ذكر المصدر مرةً أخرى.

ويلاحظ في الدراسة عدم التوازن في فصولها ، وهذا راجع لوفرة المفردات في بعض الفصول ، وقِلَّتِهَا في غيرِها ، وخصوصاً الفصل الثالث ، حيث عدد مفرداته قليل جدا مقارنة بسابقيه.